الفصل الخامس :

القرآن وشخصية الرسول

"أمر محمد – ﷺ – بأن يبلغ عن ربه ، ولم تبين له الطرق التي يتبعها في التبليغ وحماية الدعوة ، وترك له أن يتصرف بعقله وعمله وفطنته ، كما يتصرف غيره من العلماء والعقلاء ، وجاء الوحي مفصلا قاطعا في كل ما يخص ذات الإله ووحدته وصفاته وكيفية عبادته، ولم يكن كذلك فيما يخص النظم الاجتماعية للأسرة والقرية والمدينة والدولة منفردة ومرتبطة بغيرها من الدول ، فهناك مجال واسع للبحث عن عظمة النبي– ﷺ – قبل الوحي ، وهناك مدى فسيح للبحث عن تلك العظمة بعد الوحي ."

○ الأستاذ الأكبر الشيخ : محمد مصطفى المراغي

موقف ، أو أزمة ، أو مأزق ، مما تعرض له رسول الله لو تعرض لها أي إنسان لسحقت شخصيته سحقا ، ولصهرتها صهرا ، لولا أن القرآن كان بجانب الرسول مثبتا ومقويا ومهونا ، ويتخذ القرآن المواقف المتعددة من الرسول حسب ما يتفق مع القضية أو المأزق أو الأزمة ، فلن يستطيع الرسول – ﷺ – أن يواصل كفاحه وجهاده وقد سيطر الإحباط أو الحزن أو اليأس على شخصيته ، فلابد أن تكون شخصية الرسول في أوج تألقها وفي ذروة قوتها وتمام إرادتها ومضاء عزيمتها لا لكي يتغلب وينتصر على ما يعترضه ، ولكن لأن من حوله يستمدون منه القوة والإرادة والعزيمة .

والقرآن يصور تلك المراحل والمنعطفات والمنحنيات التي مرت بها شخصية الرسول خلال سني الدعوة ، ملقيا الضوء في نهاية الأنفاق المظلمة الوعرة التي يجد الرسول نفسه منفردا وحيدا فيها ، مبددا ما قد يداخل نفس الرسول من ألم وحزن ، منبها الرسول إلى وجوب المحافظة على نفسه من أن تتصدع ، وعلى شخصيته من أن تنهار ، وعلى وجدانه من أن يتزلزل ، فكم تلقى وسيتلقى الرسول الكثير من الصعوبات والعقبات ، وكم سيصادف وصادف الكثير من المآزق والأزمات ، ومع كل ذلك يجب أن تظل شخصيته صلبه كالصخر الذي تتكسر عليه نبال وسهام الحقد والكراهية من أعدائه وأعداء الله .

لذلك كان الرسول يجد في القرآن نعم العزاء ، ويجد فيه خير مدد ، وأفضل معين يعينه على أن يتحدى العالم ، ويصبر على المؤامرات ويتصدى لجيوش الظلام والكفر ، لذلك كان يتلوه آناء الليل وأطراف النهار . وكانت الفترة التي قضاها الرسول في مكة ، في بداية الدعوة من أشق وأصعب الفترات التي مرت به ، فقد شعر أن الحصار قد أحكم حول الدعوة ، فهاهي الأيام والشهور تمر بدون جدوى وكل محاولاته لا تحدث النجاح أو التوفيق الذي يرجوه ، وكان الهجوم شرسا على

شخص رسول الله ، وتفنن الكفار في أنواع الإيذاء والضرر الذي يلحقونه بشخص الرسول والمسلمين . وكان الرسول يستعرض الوضع فيجده هكذا ،

- حالة من الحصار المحكم والجمود في الدعوة .
- إيذاء الرسول والطعن في نبوته باتهامه تارة بالجنون وأخرى بالسحر وثالثة بأنه شاعر .
- تعرض المسلمين لصور وأنواع من الاضطهاد والتعذيب

وقد بذل الرسول جهودا جبارة لمحاولة الخروج من هذا المأزق . وامتلأت نفسه بالحزن والأسى حينما لم يجد أذنا صاغية لدعوته ، ولم يقف الأمرعند هذا . بل بدأوا يهاجمون ويحاولون القضاء عليه وعلى الدعوة وعلى المسلمين .

المرارة والألم والحسرة والحزن يحيطون بالرسول من كل جانب ، وهذا من شأنه أن يؤثر تأثيرا سيئا على نفسية الرسول ، ولنبل ورقي وسمو شخصية الرسول فإنه لم يحزن على ما كان يحيق ويلحق به ، ولم يكن كذلك يحزن على ما يلقاه المسلمون من شدة وعنت وعذاب ، فكل هذا له أجره وثوابه عند الله . ولكن حزنه الحقيقي على هؤلاء الذين يصرون على الكفر والعصيان ، فإنهم لا يعلمون مغبة ونتيجة هذا الجحود والإلحاد ، إنه يأسى لهم ويحزن عليهم ، فالأمر جد وليس بالهزل ، ليتهم يعلمون شيئا عن مصيرهم ، أو ليتهم يستجيبون لينقذوا أنفسهم وينجوا من المصير البائس . ويخرج القرآن الرسول من تلك الدوامة المهلكة والمشكلة من الحزن واليأس والإحباط . ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾الكهف: ٦ "والمعنى: لا تهلك نفسك-أيها الرسول الكريم - هما وغما بسبب عدم إيمان هؤلاء المشركين.وبسبب إعراضهم عن دعوتك ((فإنما عليك البلاغ وعلينا الحساب)). و((إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء)) .

قال الزمخشري : شبهه – سبحانه – وإياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما داخله من الأسف على توليهم ، برجل فارقته أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم ؛ ويبخع نفسه وجدا عليهم وتلهفا على فراقهم " [٦٥].

هنا القرآن يهدئ من غلواء الرسول ، يبطئ من اندفاعه الذي قد يقوده أن يهلك نفسه حزنا ... نعم ، يعز عليك أيها الرسول عناد قومك ، ولكن ليس معنى أن هناك عقبات تحول بينك وبين تحقيق هدفك أن تقتل نفسك ، فقبل أن تجاهد هؤلاء يجب أن تجاهد الحزن واليأس والإحباط والحسرة أن يسيطروا عليك .

ويهون القرآن على رسول الله في سورة أخرى (الشعراء) مخاطبا إياه أن لا يهتم بعناد وصلف وتكبر ولجاج هؤلاء الكفار ، فهم لا يعجزون الله في شيء ، فالله قادر أن يجبرهم ويخضعهم على أن يؤمنوا بك في طرفة عين ، ولكن الله – تعالى – لا يريد ذلك ، بل يريد أن يؤمنوا بملء إرادتهم ، غير مجبرين على هذا ﴿ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهُ مُعْرِضِينَ ﴿٥﴾ ﴾ الشعراء: ٤ – ٥

" والمعنى : لعلك – أيها الرسول الكريم – لا تفعل ذلك ، فإنما عليك البلاغ و... نا الحساب وإنك لا تستطيع هداية أحد ولكن الله – تعالى – يهدي من يشاء وإننا (إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) ومفعول المشيئة محذوف ، والمراد بالآية هنا المعجزة القاهرة التي تجعلهم لا يملكون انصرافا معها عن الإيمان ، والأعناق جمع عنق ، وقد تطلق على وجوه الناس وزعمائهم تقول: جاءني عنق من الناس : أي جماعة منهم أو من رؤسائهم والمقدمين فيهم والمعنى لا ... يا محمد لعدم إيمان كفار مكة بك ، فإننا إن نشأ إيمانهم ، ننزل عليهم آية ملجئة لهم على الإيمان ، تجعلهم ينقادون له ويدخلون فيه دخولا ملزما

٦٥- التفسير الوسيط للقرآن الكريم – د . محمد سيد طنطاوي – صفحة (٤٧٠)

لهم . ولكننا لا نفعل ذلك ، لأن حكمتنا قد اقتضت أن يكون دخول الناس في الإيمان عن طريق الاختيار والرغبة وليس عن طريق الإلجاء والقسر "[٦٦].

٥ رعاية القرآن للنبي

قد يظن ظان أن النبي له طبيعة تجعله فوق مشاعر الناس العاديين، أو لديه من المناعة والقوة أن لا يخضع لما يخضع له الناس من عواطف وأحاسيس ، وأنه ليس في حاجة إلى تعليم أو توجيه أو إرشاد وتقويم . وأن الأمور كلها بالنسبة له واضحة لا لبس فيها . وأن الأزمات والمآزق لا تلبث أمامه إلا دقائق أو ثوان حتى يصل فيها إلى قرار هو الحق كل الحق ، وأن المعجزات والأمور الخارقة طوع بنانه يريدها متى يشاء ، وأن هناك أمورا كثيرة مسخرة لإرادته وطلبه . وأنه لا يفكر ويجهده التفكير . ولا تتملكه الحيرة . وأنه لا يحاول أن يجد مخرجا للمآزق قد يجد نفسه فيه ، أو حلا للأزمة تحدق به .

كل تلك الظنون غير صحيحة . وربما لم يفهم النبوة الفهم الحق سوى الصحابة الأولون الذين عاشوا وتعايشوا مع النبي واختلطوا به وامتزجوا فيه وسبروا غور شخصيته . فهم يدركون أنه بشر مثلهم ، وأن بعض أرائه – من منطلق بشريته – قد لا تصادف الحق . لذلك كانوا يسألونه فيما يقوله ويقرره أعن وحي أم عن رأي ومشورة . فإذا قال إنه الوحي كانوا لا يناقشونه . وإنما هي الطاعة المطلقة أما إذا كان القرار عن رأي فكانوا يناقشونه ويراجعونه وقد يخالفونه . وكان لشدة تواضعه ينفذ الأمر الذي قالوا به حينما يتبن له وجه الصواب .

هذا موقف الصحابة من النبي . تارة يتعاملون معه من منطلق أنه نبي طالما يحدثهم عن وحي أوحي له . وترة يتعاملون معه أنه بشر طالما الأمر خارج الوحي . هنا الحقيقتان منفصلتان . حقيقة البشرية وحقيقة النبوة ولكل مقام مقال .ولكن الأمر مع القرآن مختلف . فالقرآن لا يتعامل إلا مع النبي . بل وصف

٦٦- المصدر السابق – صفحة (٢٣٢- ٢٣٣)

النبي لا يقوم ولا يتضح إلا من خلال علاقة النبي بالقرآن ، ولكن أيعني هذا أن القرآن لا يعترف ولا يقر صفة البشرية ولا يعتد إلا بالنبوة ؟ كيف ذلك وعين الوجود هي البشرية ، والنبوة طارئة على تلك الصفة ؟ .

ليس هناك تعارض إذا عرفنا أن هناك حقيقة بشرية أو حقيقة إنسانية وحقيقة قرآنية ، وأنه يجب ان تتفق وتوافق الحقيقة الإنسانية الحقيقة القرآنية وأنه يجب ألا يكون هناك تعارض أو تصادم بين الاثنين .

○ الحقيقة الإنسانية والحقيقة القرآنية .

حقيقة الشيء : هو الشيء كما خلقه الله ، بدون زيادة أو نقصان ، بدون تغيير أو تحويل أو تبديل .

وكثيرا ما تضيع أو تطمس أو تبدل أو تغير حقائق الأشياء عندنا نحن البشر وهذا راجع إلى الجهل أو الحب أو الكره .

فالجهل نوع من الانفصال أو الابتعاد المتعمد أو غير المتعمد عن الشيء وكأن هذا الشيء غير موجود بالنسبة للجاهل ، فهو ليس في دائرة وعيه أو في إطار اهتماماته أو في نطاق حواسه المدركة .

والحب نوع من الارتقاء والسمو والارتفاع بالشيء ، وقد يصل الأمر في أحيان كثيرة إلى تقديسه ، وهو في حقيقته غير مقدس ، وبذلك أخرجت الشيء عن حقيقته .

والكره نوع من التحقير والضعة والتدني ، وبذلك تكون قد بخست الشيء وظلمته وبددت الكثير من سماته وصفاته .

وحقيقة الشيء إما أن نصل إليها بجهد بشري محض ، بعد إعمال العقل وتصريف الفكر في أوجه كثيرة وإما أن نصل إليها من خلال وبمساعدة وإرشاد الوحي الإلهي، والحقائق التي يصل إليها الإنسان بعقله تعد حقائق نسبية، أو لنقل حقائق متواضعة تواضع العقل البشري ، تقبل النقاش والجدل ، أما حقائق الوحي

الإلهي فهي حقائق مطلقة لا تقبل النقاش او الجدل ؛ وذلك لوضوحها وبساطتها وعدم تغيرها أو تبدلها .

٥ حقيقة النبي

﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾الكهف الآية ١١٠ فالنبي بشر، بل النبوة محصورة في البشرية أو مقصورة عليها ، وتلك البشرية ليست شيئا غامضا . وبالنسبة للنبي نوع راق غير الذي عليه بقية البشر، فكل ما يخضع له البشر يخضع له النبي من مرض وموت وضعف وحيرة وحزن واكتئاب وإحباط الخ ...ولكن الفارق بين البشر والنبي أنه يوحى إليه . والإيحاء يقتضي نوعا من التعديل في بشرية النبي ، وهذا التعديل لا يخرجه عن دائرة البشرية ، فالوحي الإلهي يقتضي نوعا من الارتقاء البشري ، والموحي إليه يستلزم نوعا من التطهر النفسي والوجداني والعقلي حتى يتسنى له صلاحية استقبال الفيض الإلهي .

والتطهر النفسي والوجداني والعقلي يكون – عادة – من ذنب أو معصية أو خطيئة ، وتلك الأشياء من لوازم أو من سمات البشرية ، فهل إذا صدر من الأنبياء – صلوات الله عليهم – مثل تلك الأشياء ، فما الميزة التي تميزهم عن بقية البشر ؟ وهل إذا صدر منهم ذلك ، هل ينال ذلك من مقامهم ومكانتهم ؟

بالطبع لا ، لأن ما من أحد صدر منه شيء من هذا إلا وسارع مستغفرا تائبا منيبا إلى الله – عز وجل – مقرا ومعترفا بتقصيره ، وهذا في حد ذاته – الاستغفار والتوبة والاعتراف والاقرار – ترفع من مكانة وقدر الشخص بصفة عامة والنبي بصفة خاصة ، لأن هنا لا يشغلنك أمر الذنب والمعصية ، ولكن ليشغلنك أمر التطهر وما يفعله في النفس من حض وحفز لها لترتقي في مدارج الرقي والسمو والإنسان لا يتطهر ليمحو آثار الذنب والمعصية فحسب ولكن لينتقل نقلة أعلى وأرقى مما كان عليه قبل الذنب والمعصية ، فالتطهر ليس عودة لما كان عليه

الإنسان قبل الذنب والمعصية ،ولكنه يخلق الإنسان خلقا آخر، لديه من المناعة والقدرة ما يمكنه لا أن يتحكم في طبعه البشري فحسب بل ليعلو به درجات في سبيل الكمال " احتجوا أيضا بأن الذنوب تنافي الكمال وأنها توجب التنفير . ونحو هذا من الحجج العقلية . ورد بان هذا إنما يكون من البقاء على ذلك ، وإلا فالتوبة النصوح التي يقبلها الله يرفع بها صاحبها إلى أعظم مما كان عليه ، كما قال بعض السلف : كان داود عليه السلام بعد التوبة خيرا منه قبل الخطيئة ، وكان يونس بعد خروجه من بطن الحوت وتوبته أعظم درجة منه قبل أن يقع منه ما وقع . قال تعالى: ﴿ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ القلم: ٤٨ - ٥٠ .

وهذه الحال الأخيرة بخلاف حال التقام الحوت . فإنه قال فيه ﴿ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾ الصافات: ١٤٢ فأخبر سبحانه أنه في تلك الحال مليم . والمليم هو الذي فعل ما يلام عليه ، فكان حاله بعد قوله ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الأنبياء: ٨٧ .

أرفع من حاله قبل أن يكون ما كان . والاعتبار بكمال النهاية ، لا بما جرى في البداية . والأعمال بخواتيمها . والله خلق الإنسان لا يعلم شيئا ، ثم علمه فنقله من حال النقص إلى الكمال . فلا يجوز أن يعتبر قدر الإنسان بما وقع منه قبل حال الكمال . بل الاعتبار بحال الكمال ، ويونس وغيره من الأنبياء صلوات الله عليهم في حال النهاية في أكمل الاحوال.

وقد كان هذا حال الأنبياء دائما يبادرون إلى التوبة والاستغفار عند الهفوة والقرآن شاهد عدل .

فها هو ذا لم يذكر شيئا من ذلك عن نبي من الأنبياء إلا مقرونا بالتوبة والاستغفار . كقول آدم وزوجه : ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ الأعراف: ٢٣ وقول نوح ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ

﴿ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
هود: ٤٧ وقول موسى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ القصص: ١٦ ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأعراف: ١٤٣ ﴿ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴾.... إلى غير ذلك"[٦٧]

هنا حقيقة إنسانية لها خصائصها وأحكامها ، اعترف بها القرآن وأحاطها بسياج من الرعاية والاهتمام ، لا لشيء إلا لتكون بداية ومنطلقا لحقيقة أخرى هي حقيقة النبي ، تلك الحقيقة التي أدركها محمد – ﷺ – إدراكا واضحا جليا لا لبس ولا غموض فيه ، وأخذ على عاتقه توضيح تلك الحقيقة للمسلمين " وكان يمقت هذا الإكبار غير العادي لشخصه ، ويدعو إلى تجنبه ، خشية أن يؤدي إلى ثغرة في دين الله ينفذ منها إلى هذا الدين الحنيف ما نفذ منها من قبل إلى دين عيسى عليه السلام مما خرج برسالته من أن تكون رسالة الله الخالدة ، لذلك بصر عليه السلام أمته بأمر هذه الثغرة وحذر وشدد في التحذير من أن يجر تعظيمه إلى الوقوع في الشرك .

دخل عليه يوما رجل يرجف خوفا ، وهم بالوقوع على قدميه ﷺ ، فقال له : رويدك يا هذا ! إنما أنا بشر أنا ابن امرأة أعرابية كانت تأكل القديد "[٦٨] .

نعم ، إن اختيار واجتباء واصطفاء الله – عز وجل – لأحد من البشر ليكون نبيا ورسولا هذا في حد ذاته يؤهله ليرتفع درجات ودرجات فوق مستوى البشر العاديين ، وإلا ما مبرر اختيار الله له دونا عن بقية البشر ؟

وقد يكون للنبي بعض التميز والخصوصية والتوقير والإجلال والاحترام وليس هذا راجعا إلى شخصه ، ولكن إلى جلال وعظمة وقدسية المهمة التي يؤديها

٦٧- اجتهاد الرسول – الشيخ عبد الجليل شلبي – صفحة (٣٠ - ٣٥)
٦٨- اجتهاد الرسول – الشيخ عبد الجليل عيسى – صفحة (٩ - ١٠)

إنه مبلغ عن الله ، متلق عن الله ، أما شخصه فهو بشر في الحقيقة ، ولا ينبغي أن تضفي عليه تلك المهمة المقدسة أي شيء من القداسة ، وهنا الإشكال الذي حدث للناس ، أنهم خلطوا بين المهمة التي يؤديها النبي وبين ذاته ، وظنوا أنه طالما المهمة مقدسة فلابد للقائم بها أن يكون مقدسا ، أو على الأقل يناله شيء من التقديس أو نعامله نحن بشيء من التقديس ، ولكن هذا - كما قلنا - يخرج بالأمور عن حقيقتها " وهذا الازدواج في النظرة إلى رسول الله لا يغير من تقديره واحترامه في نفوس المؤمنين بدينه فلم يزل هو الإنسان المصطفى وليس بالإنسان العادي كرمه ربه باختياره لأداء رسالته فكرمه المؤمنون به لما له من منزلة خاصة عند الله ، لكن من جهة أخرى من حق الله عليه وعلى المؤمنين أن يعرفوا حدود هذه المنزلة ، فلا يشركوه مع الله في درجة واحدة عن طريق إغفال المعنى الإنساني فيه .

فالرسول - ﷺ - إذا أضيف إلى الخلق كان في السماكين وكان الجميع يدب على سطح هذه الغبراء ، وإذا أضيف إلى ربه صاحب الفضل عليه كان بشرا ككل البشر خاضعا لقوة القاهر الغالب الذي اختص بالكمال وحده " [٦٩] .

٥ القرآن والحقيقة الإنسانية :

﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٧٩-٨٠. هنا القرآن يؤكد تلك الحقيقة ، معلنا أن أول من يقرون بتلك الحقيقة هم الأنبياء أنفسهم ، ولا شيء يدفعهم أن ينكروها بل الواقع والعقل والدلائل تجعلهم لا ينكرونها ، فمن أنعم الله عليه بالكتاب والحكم والنبوة ، يكن - قبل ذلك - قد وصل إلى درجة سامية وراقية من العقل والوعي والإدراك والأمانة والإخلاص تمنعه أن ينكر تلك الحقيقة ويدعي ما هو كذب وزور

٦٩- نفس المصدر - صفحة (١٦)

وافتراء على الله . ولكن المنطق والعقل يقول أن هؤلاء النوعية من البشر الذين استحقوا تلك المنزلة من الفضل والعطاء بما طبعوا عليه من الخير والاستقامة والهدى والرشاد أن يكونوا أول الداعين إلى عبادة الله وتوحيده وعدم الشرك به "والتعبير بقوله – تعالى – (مَاكَانَ لِبَشَرٍ) تعبير قرآني بليغ . إذ يفيد نفي الشأن وعدم اتفاق هذا المعنى مع الحقيقة المفروضة في الرسل الكرام – عليهم الصلاة والسلام – وشبيه بهذا التعبير قوله – تعالى – (مَاكَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ) و﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا ...﴾ [سورة النساء:٩٢] "[٧٠]

ومع ذلك فمن الصعب أن تقنع الناس أو يقتنعوا أن النبي البشر أو البشر النبي يجوز عليه الخطأ والمعصية والذنب ... وإلا فما الفرق بينه وبينهم . فإذا كان النبي يخطأ كما يخطئون ويذنب كما يذنبون وتصدر منه المعصية كما يحدث لهم فما الفرق هنا وما الميزة التي تميزه عنهم ؟

هنا يجب أن نوضح الحقيقة الإنسانية . وهو أن النبي يخضع لكل ما يخضع له البشر لا فرق ولا ميزة ولا منزلة باستثناء حينما يتلبس بحالة النبوة . ففي تلك الحالة – أو في هذا المقام – لا خطأ ولا سهو ولا ذنب ولا معصية . فهو معصوم من قبل الله – عز وجل – فإذا زايلته حالة النبوة وخرج من هذا المقام . فهو بشر وهذه الحقيقة الإنسانية تشمل الأنبياء جميعهم بدون استثناء " ... أن الأنبياء صلوات الله عليهم قبل نبينا محمد ﷺ . كل منهم أما أحس في نفسه بتقصير نتيجة خطا في الرأي أو نسيان منه أو أن ما أخبر به لم يتحقق . وذلك يدل بالتالي على أن الأنبياء بشر فحسب أن تجاوز بهم الأمر دائرة الوحي جاز عليهم ما يجوز على الإنسان العادي . وجاز عليهم الخطأ في الاجتهاد كما يجوز عليهم النسيان ويتولد عندهم الإحساس بالذنب والشعور بالملامة كما يتولد عند الإنسان العادي . وتتوق نفوسهم إلى التخلص من آثاره بالتضرع وطلب المغفرة من المولى جل شأنه وتزداد

٧٠- التفسير الوسيط للقرآن الكريم – د . محمد سيد طنطاوي – المجلد الثاني – صفحة (١٥٩)

شوقا إلى ذلك أكثر من الإنسان العادي لما يتمتع به الواحد منهم من منزلة القربى من الله سبحانه وتعالى كرسول اصطفاه لأداء رسالته .

ولو أن كل ما أتى به من قول أو فعل كان عن الله ولله لوجب أن يتحقق مضمون قوله ويتنزه عن الخطأ فعله حين القول والفعل أو بعد القول والفعل . وإلا كان في رسالة الله ما لا يصح أن يكون لله الذي هو الحق منذ الأزل إلى الأبد "[٧١]

٥ الحياة العقلية عند محمد ﷺ.

ولن يتسنى لنا فهم الحقيقة الإنسانية في أجلى صورها ، إلا إذا فهمنا الحياة العقلية عنده .

فلم يكن محمد يفكر كما نفكر .

ولم يكن يستخدم عقله كما نستخدم عقولنا .

فنحن نفكر متعالين عما نفكر فيه ، بمعنى أن الموضوع الذي يستوجب التفكير شيء والتفكير نفسه شيء آخر ، فالمفكر قد يغلق على نفسه أبواب ونوافذ حجرته ويبقى مدة قد تطول وقد تقصر ، وفي النهاية يخرج من محبسه هذا متهلل الأسارير منشرح القلب ويعلن على من حوله أنه وصل إلى فكرة خاصة بالموضوع الفلاني ، وهنا قد يحدث الخطأ من جراء التعالي أو الابتعاد عن الموضوع ، لأنه قد يجرفك تيار الفكر – وكثيرا ما يجرف أصحابه – لتفكر وتمعن التفكير في موضوع لا علاقة له بما تريد التفكير فيه ؛ لأن بالتعالي هذا قد أوجدت عالمين منفصلين عن بعضهما تماما ، وهما عالم الفكر والواقع ، أو لنقل هما منفصلان وأتيت أنت لتؤكد هذا الانفصال .

ونحن نستخدم عقولنا ، ونحن منفصلون تماما عن الحقيقة الإنسانية نستخدم عقولنا بصورة تجريدية ، وكأننا كائنات عاقلة ليس لها نصيب من العاطفة أو الإحساس ، ونحاول أن نصبغ العقل بصفات الحيادية والتجرد

٧١- اجتهاد الرسول – الشيخ عبد الجليل عيسى – صفحة (٥٠- ٥١)

والموضوعية . ونعتقد أن خير العقول هو الذي يصل إلى الحقيقة بأسرع وقت ومن أقرب طريق . رافضا بل متبرئا من كل ما لا يمت بالعقل بصلة . نحن نحاول أن نجعل عقولنا كالقاضي . لا شأن ولا صلة له ولا اعتبار إلا لما يتوافر له من وقائع وأدلة وبراهين وإثباتات . ولو شك هذا القاضي لحظة أنه يميل أو أن مشاعره وأحاسيسه تدخلت فإنه يتنحى عن الحكم . ويظن البعض أن ذلك هو أفضل وأيسر وأسهل الطرق لتصل إلى الحقيقة .نعم . ونظن أنه – أيضا – من أسهل وأيسر الطرق لتقودك إلى الخطأ والضلال ؛ لأن تلك الأدلة والبراهين والشواهد والوقائع كما قد ترشد العقل إلى الحقيقة . قد تؤدي به إلى الضلال والانحراف والزلل والرسول قد نبه إلى ذلك . ولعله فعل ذلك ليؤكد على تلك الحقيقة الهامة والخطيرة في نفس الوقت . قال ﷺ : " إنما أنا بشر . وأنكم تختصمون إلي . ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع . فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا فإنما أقطع له قطعة من نار "

حينما لا ينفصل الفكر عن الواقع . وحينما لا يتبرأ العقل من الحقيقة الإنسانية يستحيل الفكر إلى حياة . ويصبح العقل قوة تمد الحياة بعوامل وأسباب القوة والاستمرار والدوام .

لذلك قد نعد محمدا عليه السلام رجل فكر من الطراز الأول وصاحب عقل يعمل عقله في القضايا والمعضلات والمآزق والأزمات فتحل ولا تكاد تصمد أمام رجاحة وسداد عقله .

وقد نعد محمدا عليه السلام رجلا عمليا نباضًا في غير توان أو تردد أو تقاعس مساكا بأزمة الأمور وناصية المعضلات يقودها حيث يشاء ويصرفها كما يريد مفاجئا الجميع بما لا يتوقعونه ولا يحتسبونه .

وإن شئت الحق فلا هو برجل الفكر ولا برجل العمل . إنه رجل حياة والحياة أشمل وأعم من ذينك الأمرين .

لأن الفكر قد يقود صاحبه إلى الضلال ، وقد يعزل الإنسان عمن وعما حوله وقد يسلمه إلى الجمود والتأخر بينما الحياة سرعة ونشاط وتغير وتبدل وتحول .

والعمل قد يكون من أسباب الفوضى والارتباك والضياع إذا اعتمد على الارتجال والتسرع ، والحياة نظام ومراحل متعاقبة وسلسلة مترابطة ومتصلة الحلقات وكل مرحلة لابد أن تستوفى وقتها وتأتي في حينها .

إذن كون محمد رجل حياة يجعله يأخذ ويصطفي أفضل وأجمل وأصلح ما في الفكر وفي نفس الوقت يجعله يتجنب أسوأ ما في الفكر .

وكون محمد رجل حياة - كذلك - يجعله يأخذ ويصطفي أفضل وأجمل وأصلح ما في العمل ويدفعه أن يتخلص مما يقود إلى الفوضى والهلاك .

تلك هي الحياة العقلية التي كان يحياها محمد ﷺ ، والتي مكنته أو سمحت من خلالها أن يدرك الحقيقة الإنسانية ، ولعل البعض يقول كيف تسنى لمحمد إدراك الحقيقة الإنسانية كاملة ، وهناك مواقف قد عارض القرآن فيها محمدا وخالفة في ذلك ؟ .

والرد على ذلك أن هناك ما يسمى بالحقيقة القرآنية وما يسمى بالحقيقة الإنسانية ، وإن عجز محمد ﷺ - بنفسه - في بعض الإحيان وفي بعض الظروف عن إدراك الحقيقة القرآنية فلا لوم عليه ؛ لأنه ليس مطالبا في كل الأحوال والأمور أن يدرك الحقيقة القرآنية ، لأنها لو كانت في استطاعته أو هو مطالب بها لأنتفت الحكمة من نزول الوحي .

وحينما تتعارض الحقيقتان فكان محمد ﷺ يأخذ بالحقيقة القرآنية ويترك الحقيقة الإنسانية ؛ لأن الحقيقة القرآنية هي الأولى والأجدر ، لأن كل ما هو إنساني - حتى لو عد من الحقائق - فهو نسبي ، والنسبي يشتمل على جزء من الحقيقة ، وليس كل الحقيقة ، ومن لديه جزء من الحقيقة - وليس كل - قد يضل ويغوى .

ومن أجل هذا لم يغضب الله – عز وجل – ولم يعاقب على أخذ الرسول والمسلمين في بعض الأحيان بالحقيقة الإنسانية، ولكنه أرشدهم ونبههم – في رفق ولين ورحمة، معلنا الصفح والغفران – إلى الحقيقة القرآنية. وذلك لأن الحقائق القرآنية فوق العقل بعيدا عن متناوله، وأن يصل الرسول والمسلمون إلى حقيقة إنسانية هذا في حد ذاته شيء طيب ولا غبار عليه ولا يستدعي اللوم والعتاب، طالما لم تظهر بعد الحقيقة القرآنية. أما وقد ظهرت الحقيقة القرآنية وأعلنت، فلم تعد الحقيقة الإنسانية بالشيء الطيب، فالحقيقة القرآنية هي الأولى بالتقديم – كما قلنا – بل يجب ان تقدم ويغلق الباب من خلفها كي لا يكون هناك إلا الحقيقة القرآنية.

الغريب والعجيب أن القرآن لم يضرب صفحا عن الحقائق الإنسانية التي صدرت عن الرسول والمسلمين، لم يكتف بذكر الحقيقة القرآنية وإنما ذكر الحقيقة الإنسانية؛ ليؤكد على إنسانية الرسول وبشريته، وقد كان القرآن في غنى عن ذكر الحقيقة الإنسانية طالما هي معارضة ومخالفة للحقيقة القرآنية، بل مدانة في بعض الأحايين، فيكفي أن يذكر الصواب أمام المخطيء ليعرف خطأه، ولا داعي لذكر الخطأ، ولا سيما وأن هذا يتم في قرآن يتلى ويتعبد به آناء الليل وأطراف النهار، ولكن ما فعله الرسول ليس خطأ، وإنما – كما قلنا – حقيقة إنسانية تتفق مع طبيعة وفطرة وجبلة الإنسان، لا يجد الإنسان أي غضاضة أن تذكر على الملأ وأن يؤكدها القرآن.

وهنا قد يثور سؤال خاص بمشاعر النبي، ألم يكن يشعر بحرج وهو يتلو أو يسمع القرآن يتلى بتلك الآيات الكريمة التي عاتبته أو لامته أو خالف القرآن فيها أفعال وتصرفات النبي ؟.

والإجابة، أن الرسول لم يشعر بأي حرج من هذا الأمر، وهذا راجع إلى أمرين :

الأول : أن الرسول كان على وفاق واتفاق مع الحقيقة الإنسانية . وأنه ليس مطالبا - بداية - بشيء أكثر من ذلك . وإذا طولب فالأمر في حاجة إلى تنبيه وإرشاد وتوجيه . وحالما يلبي الرسول ما طولب منه بدون توان أو تأخير معلنا التوبة والاستغفار راجيا العفو والغفران أن قصر - في رأيه - أن يدرك الحقيقة القرآنية .

الثاني : أن الذي لام وعاتب أو نبه هو الله - عز وجل - . فقد يشب إحساس بالغضاضة والحرج إذا الذي عاتب ولام إنسان مثلي . لأن هذا التعديل يدل على نقص وإعوجاج وإنحراف . في حاجة إلى إتمام واستقامة واعتدال . أما حينما يكون التعديل صادرًا من الله - عز وجل - فليس هذا راجع إلى نقص وإعوجاج وانحراف في تصرفات النبي . وإنما الأمر هنا أمر إرتقاءات الأمر هنا نقلة من الكمال الإنساني الذي لا تشوبه شائبة . إلى المقصد الإلهي على هذا فتصرفات النبي - التي عوتب من أجلها - لم يكن بها نقص أو إعوجاج أو انحراف . بدليل أن الله - عز وجل - ترك الرسول يفعلها ولو كانت كذلك لأوحى الله - عز وجل - إلى نبيه بعدم فعلها . وهل من المعقول أن يترك الله نبيه يهم بالخطأ ويفعله ثم بعد ذلك يخبره أن ما فعله خطأ وأنه كان يجب أن يفعل كذا وكذا... أما كان الأولى والأجدر أن يجنب القرآن الرسول هذا الحرج والعنت؟!

ولكن الأمر ليس فيه أدنى حرج ولا عنت ولا غضاضة ؛ لأن مراجعات القرآن للرسول ما هي إلا نقلة نوعية بين مقصدين . مقصد بشري ومقصد إلهي أو بين حقيقتين . حقيقة إنسانية وحقيقة قرآنية .

٥ الحقائق الإنسانية التي تصادمت مع الحقائق القرآنية :

١- قبول الفداء من أسرى بدر، ونزل قوله تعالى ﴿ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ

وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٦٨﴾﴾ الأنفال: ٦٧ - ٦٨

٢- استغفاره لعبد الله بن أبي ، نزل قوله تعالى ﴿ ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ التوبة: ٨٠

٣- حينما حرم على نفسه ما أحله الله ، نزل قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ قَدۡ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمۡ تَحِلَّةَ أَيۡمَٰنِكُمۡۚ وَٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ التحريم: ١ - ٢.

٤- انصرافه عن الصاحبي (عبد الله بن أم مكتوم) نزل قوله تعالى ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾﴾ عبس: ١ - ١٠ .

٤- حينما أذن للبعض في التخلف عن غزوة (تبوك) ، نزل قوله تعالى ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾﴾ التوبة: ٤٣

٥- حينما خشى أن يعلن زواجه من (زينب بنت جحش) نزل قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَأَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِ أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولٗا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنۡ حَرَجٖ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ قَدَرٗا مَّقۡدُورًا ﴿٣٨﴾﴾ الأحزاب: ٣٧ - ٣٨

٦- تمني الرسول أن يجري على يديه بعض الآيات التي طلبها المشركون كشرط لإيمانهم، نزل قوله تعالى ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٧ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ ﴾ الأنعام: ٧-٨ ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۚ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ الأنعام: ٣٧ ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝٣٣ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ۝٣٤ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُمْ بِآيَةٍ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ۝٣٥ ﴾ الأنعام: ٣٣ - ٣٥

٧- حينما عرض عليه كفار مكة أن يأتي بقرآن غير هذا ليس فيه سب لآلهتهم هم ﷺ أن يدع آلهتهم ظاهرا، فأنزل الله تعالى قوله ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٢ ﴾ هود: ١٢.

٨- حينما طلب كفار مكة أن يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه بذلك، فأنزل الله تعالى ﴿ وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ ۖ وَإِذًا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ۝٧٣ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا ۝٧٤ ﴾ الإسراء: ٧٣ - ٧٤ .

٩- قال رسول الله ﷺ بعد (أحد) حينما رأى تمثيل الكفار بعمه (حمزة) وبالمسلمين : ((اللهم ألعن أبا سفيان ، اللهم العن الحارث بن هشام ، اللهم العن سهيل بن عمرو ، اللهم العن صفوان بن امية)) . فتضرع إلى الله سبحانة وتعالى بأن يجزيهم على فعلتهم هذه شر أنواع الجزاء وهو أن يلعنهم

ويسجل عليهم سخطه . نزل قوله تعالى ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ آل عمران: ١٢٨- ١٢٩.

٥ الحقيقة الإنسانية التي وافقتها الحقيقة القرآنية.

فقد تمنى الرسول ﷺ أن يستقبل الكعبة في صلاته . لقد كان يصلي وهو بمكة إلى بيت المقدس والكعبة بين يديه . فلما هاجر إلى المدينة ولم يمكن الجمع بينهما صلى إلى بيت المقدس . ويعلل رغبة الرسول في التوجه إلى الكعبة في الصلاة بأنها قبلة أبيه إبراهيم وقد جاء داعيا إلى إحياء ملته وتجديد دعوته . والتوجه إليها أدعى إلى إيمان العرب سريعا . وهم نواة الدين وأساس الدعوة . فأنزل الله تعالى[٧٢] ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ البقرة: ١٤٤

٧٢- اجتهاد الرسول – الشيخ عبد الجليل عيسى – صفحة (٦٧)